النعمة والحق
3-4
Mar
Apr
2025

أبريل ٢٠٢٥

* الألم نظرة كتابية.
* أيوب: آلامه وصبره

النعمة والحق

مجلة سيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثالثة والثلاثون

مارس وأبريل ٢٠٢٥

العدد ١٩٤

في هذا العدد

افتتاحية العدد	لغز الألم	١
موضوع العدد	كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب	٢
موضوع العدد	دروس من سفر أيوب	١٢
موضوع العدد	الألم في سفر أيوب	٢٣
موضوع العدد	مانتعلمه من سفر أيوب	٢٩
الأخبار السارة	لا تخف آمن فقط	٣٩
دراسات مسلسلة	حياة إرميا	٤٠
تأملات هادئة	منشغل بجماله	٤٩
من روائع الكلمة	الألم يحوله بركة	٥١

يخاف الكل من الألم.. عدا المؤمن الواثق في إلهه، الذي يحول بالإيمان آلامه إلى ربح روحي أبدي مضمون لا يمكن خسارته أو تعويضه!

❋

اقرأ الأخبار السارة ص ٣٩

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ – الإسكندرية (٠٣).

بول ألبرتس

لغز الألم

لاشك أن الألم دخيل على البشرية كنتيجة حتمية ومباشرة للخطية وعصيان اللّه. فاللّه ليس هو مصدر آلام البشر كما يدَّعي الشيطان؛ وإن كان في حكمته يسمح به، وفي حكمة سيضع له نهاية، ومن بين هذا وذاك في سلطانه يحوله خيرًا وبركات في حياة أولاده.

ويقينًا ليس أفضل من "أيوب" كحالة، أو "سفره" كموضوع بحث يخص الألم، وهذا ما أهتم عددنا هذا بتقديمه في موضوعاته الرئيسية؛ التي تجتهد لتضع أمام القارئ رؤية كتابية لموضوع الألم من أكثر من زاوية.

قريبًا سينتهي الألم بمجيء المسيح، وهناك سيُكشَف أمامنا «سر اللّه» (رؤ ١٠: ٧) عندما صمتت السماء وسمحت بآلام متنوعة لملايين من القديسين عبر كل العصور، ولم يفهموا وقتها، لكن اخيرًا سيستعلن «سر اللّه». حيث سنعرف كل شيء... قريبًا.. هناك.

كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ ٱسْمُهُ أَيُّوب

كان أيوب، الرجل الذي نشير إليه في عنوان هذا المقال (أيوب ١: ١)، شخصية حقيقية، وليست خيالية. وإن أجزاء أخرى من الكتاب المقدس، في العهد القديم والعهد الجديد، تمدُّنا ببراهين على هذه الحقيقة:

- **حزقيال ١٤: ١٤**، «وَكَانَ فِيهَا هَؤُلاَءِ ٱلرِّجَالُ ٱلثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ، يَقُولُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ».

- **حزقيال ١٤: ٢٠**، «وَفِي وَسْطِهَا نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ، إِنَّهُمْ لا يُخَلِّصُونَ ٱبْنًا وَلا ٱبْنَةً. إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ».

- **يَعْقُوبَ ٥: ١١**، «هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ ٱلصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ

وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ ٱلرَّبِّ. لأَنَّ ٱلرَّبَّ كَثِيرُ ٱلرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ».

عاش **أيوب** قبل الناموس، وكان على الأرجح معاصرًا لإبراهيم. وقد تكرَّر الاسم «ٱلْقَدِيرُ» ٣١ مرة في سفر أيوب، وهو ما يفوق عدد المرات التي ورد فيها هذا الاسم في بقية أسفار الكتاب المقدس مجتمعةً. وهذا هو الاسم نفسه الذي استخدمه اللّه عندما ظهر لإبراهيم: «أَنَا ٱللهُ ٱلْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً» (تكوين ١٧: ١).

ماذا نعرف عن حياة أيوب الشخصية؟ كان أيوب رجلاً ذا خُلُق رفيع، «كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي ٱللهَ وَيَحِيدُ عَنِ ٱلشَّرِّ» (أيوب ١: ١). وقد باركه اللّه بسبعة بنين وثلاث بنات، وبأملاك مادية كثيرة، حتى أصبح «أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي ٱلْمَشْرِقِ» (أيوب ١: ٣). وكان معتادًا أن يستيقظ باكرًا كلَّ صباح ليُقرِّب محرقات للرب عن كل واحد من أولاده عندما يجتمعون معًا للأكل والشرب، لأنه قال: «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى ٱللهِ فِي قُلُوبِهِمْ» (أيوب ١: ٥). وهكذا، كان أيوب أبًا صالحًا يشفع عن أولاده. وهذا مثال لنا نحن الآباء والأمهات، بأن نأتي بأولادنا، وأحفادنا أيضًا، باستمرار أمام عرش النعمة (عبرانيين ٤: ١٦).

أيوب المتألم

إن **سفر أيوب** هو في المقام الأول سفر الألم، وهذا الألم هو النصيب الذي يشترك فيه كلُّ الجنس البشري. ذكَّر بطرس المؤمنين اليهود قائلاً: «نَفْسَ هَذِهِ ٱلآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْعَالَمِ» (١بطرس ٥:

٩). فإننا نلاحظ من خلال الكتاب المقدس أن الألم جزء بارز من طرق تعامل اللّه مع شعبه، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. فيما يتعلق بالماضي، قال يعقوب: «خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لاحْتِمَالِ ٱلْمَشَقَّاتِ وَٱلأَنَاةِ: ٱلأَنْبِيَاءَ ٱلَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ. هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ ٱلصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ ٱلرَّبِّ. لأَنَّ ٱلرَّبَّ كَثِيرُ ٱلرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ» (يعقوب ٥: ١٠-١١). وفيما يتعلق بالحاضر، كتب بولس يقول: «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ ٱلزَّمَانِ ٱلْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِٱلْمَجْدِ ٱلْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا» (رومية ٨: ١٨). أما فيما يتعلق بالمستقبل، فقد قال الرب يسوع لتلاميذه: «وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ ٱلأَوْجَاعِ. حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ ٱلأُمَمِ لأَجْلِ ٱسْمِي ... لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ٱبْتِدَاءِ ٱلْعَالَمِ إِلَى ٱلآنَ وَلَنْ يَكُونَ» (متى ٢٤: ٧-٩، ٢١).

يبدأ سفر أيوب بداية مأساوية، لكنه ينتهي نهاية سعيدة. يضع اللّه حدودًا لما يسمح به في حياة قديسيه، ويَخضَع حتى الشيطان نفسه لسلطانه. لذلك، يبرز هذا السفر سيادة اللّه وحُكمه في هذا العالم المليء بالخطية والألم، ولا سيما لصالح خاصته. ندرك في هذا السفر أيضًا مدى حقد الشيطان على شعب اللّه. فهنا، يزيح اللّه الستار قليلًا ليعطينا لمحة عن أعمال الشيطان وعدائه تجاه أيوب.

جعل الشيطان قلبه على أيوب، وسمح اللّه له بأن يضرب أيوب (أيوب ١: ١٢). وهذا يثير السؤال التالي: هل يُسَرُّ اللّه بألمنا؟ هل قبل اللّه هنا تحدي الشيطان على حساب سعادة أيوب وسلامته؟ إذا كانت الإجابة على هذين السؤالين "نعم"، سيمثل ذلك تشويهًا لطبيعة اللّه الكاملة. فقد قيل عنه إنه «ضَاقَتْ نَفْسُهُ بِسَبَبِ مَشَقَّةِ إِسْرَائِيلَ» (قضاة ١٠: ١٦)، وإنه «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ» (إشعياء ٦٣: ٩).

على النقيض، إن إجابة هذا السؤال هي أن اللّه يشعر بآلامنا ومعاناتنا. قال الشيطان للّه عن أيوب: «أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي ٱلأَرْض .وَلَكِنِ ٱبْسِطْ يَدَكَ ٱلآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ» (أيوب ١: ١٠-١١). وعندئذ، أعطى اللّه الشيطان الإذن بأن يضرب أيوب.

بدأت ضيقات أيوب تتراكم وتتفاقم سريعًا، حيث وُضع في بوتقة من الألم. فأولاً، سقط ٱلسَّبَئِيُّونَ على بقره وأتنه وأخذوها، ثم قتلوا غلمانه (أيوب ١: ١٤-١٥). لم يتح لأيوب الوقت ليستوعب هذا الخبر حتى أتاه رسول آخر وقال له: «نَارُ ٱللهِ سَقَطَتْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ ٱلْغَنَمَ وَٱلْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ» (أيوب ١: ١٦). وقبل أن ينتهي هذا الرسول من كلامه، أتى آخر وقال له: «ٱلْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاثَ فِرَقٍ، فَهَجَمُوا عَلَى ٱلْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا ٱلْغِلْمَانَ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ» (أيوب ١: ١٧). «وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا

فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ ٱلْأَكْبَرِ، وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ ٱلْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا ٱلْبَيْتِ ٱلْأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى ٱلْغِلْمَانِ فَمَاتُوا» (أيوب ١: ١٨-١٩). فقد أُطلِق العنان لقوى الشر بغتةً ضد أيوب.

إلا أن الشيطان كان مخطئًا عندما قال للّٰه إنه إذا رفع السياج الذي وضعه حول أيوب، فإنه سيجدف عليه في وجهه (أيوب ١: ٩-١١). فعلى العكس، تحدَّى رد فعل أيوب المنطق البشري. «فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَسَجَدَ، وَقَالَ: عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. ٱلرَّبُّ أَعْطَى وَٱلرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ ٱسْمُ ٱلرَّبِّ مُبَارَكًا. فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ لِلهِ جَهَالَةً» (أيوب ١: ٢٠-٢٢). وهكذا، أثبت اللّٰه أن واحدًا من قديسيه لا يزال قادرًا أن يقول، وهو في عمق أعماق الحزن والضيق النفسي: «هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لا أَنْتَظِرُ شَيْئًا» "هَلْ سَيَقْتُلُنِي اللهُ؟ حَتَّى لَوْ فَعَلَ، فَرَجَائِي فِيهِ»، بحسب الترجمة العربية المبسطة (أيوب ١٣: ١٥). وهذا هو الإيمان الذي يتحدَّى الضيق!

كثيرًا ما يُلقي أهل هذا العالم اللوم من جهة مصائبهم على اللّٰه، وهو الأمر الذي ابتدأ من آدم، الإنسان الأول. فعلى من ألقى آدم اللوم من جهة خطيته؟ «ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي ... » (تكوين ٣: ١٢). لكن رد فعل أيوب كان لافتًا للنظر ومؤثرًا أيضًا. فقد عبَّر عن حزنه بصورة منظورة حين «مَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ"، ثم "خَرَّ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَسَجَدَ» (أيوب ١: ٢٠). وقد أخرج حزنه الشديد من شفتيه أسمى

تعبير عن العبادة. لاحظ أيضًا أن أيوب أقرَّ بسيادة اللّه على ما حلَّ به، قائلاً: «ٱلرَّبُّ أَعْطَى وَٱلرَّبُّ أَخَذَ» (أيوب ١: ٢١). فإن آلامنا تصير أكثر احتمالًا عندما نقرُّ بتداخل إلهنا وأبينا المحب فيها. وهذا ما فعله داود في ضيقه: «قَدْ عَلِمْتُ يَارَبُّ أَنَّ أَحْكَامَكَ عَدْلٌ، وَبِٱلْحَقِّ أَذْلَلْتَنِي» (مزمور ١١٩: ٧٥).

لماذا نتألم؟

بما أنه ليس لدينا أيُّ سجل عن وجود أي ألم قبل سقوط آدم، نستطيع أن نستنتج بثقة أن الألم هو نتيجة مباشرة للخطية. وكي يبطل الرب يسوع نتائج الخطية - من انفصال عن اللّه، ومرض، وألم، وموت - كان لا بد أن يتألم ويموت على الصليب. «فَإِنَّ ٱلْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ ٱلْخَطَايَا، ٱلْبَارُّ مِنْ أَجْلِ ٱلأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى ٱللهِ، مُمَاتًا فِي ٱلْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي ٱلرُّوحِ» (١بطرس ٣: ١٨). فقد كان بلا خطية، لكنه تألم «مِنْ أَجْلِ ٱلْخَطَايَا» - أي خطايانا نحن. وبالتالي، فإن موته هو أساس الرفع التام للخطية ونتائجها.

وهل تألم الرب يسوع أيضًا خلال السنوات التي قضاها في هذا العالم وحتى الصليب؟ استمع إلى شهادة بطرس عن المسيح قائلاً: «ٱلَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ» (١بطرس ٢: ٢٣). كذلك، قال إشعياء إنه «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ ٱلنَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ»

(إشعياء ٥٣: ٣). أجل، «فقد عبر مخلّصنا المبارَك في هذا العالم الموحِش غريبًا، وكان نائحًا طوال حياته، وأخيرًا صار حملًا مذبوحًا» وبما أن الألم جزء من هذه الخليقة الساقطة، فعندما يسمح اللّه بأن نتألم، يكون لديه غاية أو قصد من ذلك.

كيف يستخدم الله الألم؟

يقول يعقوب: «اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ ٱمْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا ٱلصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ» (يعقوب ١: ٢-٤). كذلك، كتب بولس يقول: «... نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي ٱلضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ ٱلضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَٱلصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَٱلتَّزْكِيَةُ رَجَاءً» (رومية ٥: ٣-٤).

تعلّم أيوب الصبر، أو القدرة على التحمُّل، من خلال آلامه، وفي النهاية ضاعف الرب بركاته. فبعدما كان أيوب يبالغ كثيرًا في نظرته إلى نفسه، وصل إلى الحالة التي جعلته يعترف للرب قائلاً: «بِسَمْعِ ٱلأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَٱلآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي ٱلتُّرَابِ وَٱلرَّمَادِ» (أيوب ٤٢: ٥-٦).

يمتحن الألم حقيقة إيماننا ويقوّيه. وبمقتضى ذلك، كتب بطرس يقول: «ٱلَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ ٱلْآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ ٱلذَّهَبِ

ٱلْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِٱلنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَٱلْكَرَامَةِ وَٱلْمَجْدِ عِنْدَ ٱسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ» (١بطرس ١: ٦-٧). كان إيمان أيوب إيمانًا حقيقيًّا وأصيلاً، إذ رغم أنه سبَّ يومه، فإنه لم يجدف على إلهه (أيوب ٣: ١-٣).

كذلك، الألم ينقينا عن طريق إزالة الشوائب من حياتنا. قال أيوب: «لِأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَٱلذَّهَبِ» (أيوب ٢٣: ١٠). وقال بطرس: «وَإِلَهُ كُلِّ نِعْمَةٍ ٱلَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ ٱلأَبَدِيِّ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ» (١بطرس ٥: ١٠). رما نحاول أن نُخلِّص أنفسنا من آلامنا، لأن لا أحد يحب أن يتألم، لكننا بذلك نتخلَّى عن الغاية التي قصدها اللّه من ذلك. فهو يريد أن يغرس فينا صفات الرب يسوع، تلك الصفات التي تُجلب السرور إلى قلبه.

سمح اللّه ليوسف بالألم حتى تسفر آلامه عن حياة من الإثمار والخدمة لإخوته ولأرض مصر. كذلك، يستخدم اللّه الألم كي يردَّنا من طريق العصيان إلى طريق الطاعة. قال كاتب المزمور: «قَبْلَ أَنْ أُذَلَّلَ أَنَا ضَلَلْتُ، أَمَّا ٱلآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ» (مزمور ١١٩: ٦٧).

تشجيع في وسط الألم

من المؤسف أن الألم والضيق الذي قاساه أيوب اشتدَّ بسبب الحكم الذي أصدره عليه أصدقاؤه الثلاثة، الذين كان يأمل أن يسمع منهم

كلمات التعزية والمواساة. لكنهم في المقابل اتهموه بارتكاب خطايا جسيمة، قالوا إنها لحقت به. فطلب منهم الشفقة قائلاً: "حَقُّ ٱلْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ" (أيوب ٦: ١٤). وفي وقت لاحق، توسل إليهم قائلاً: "تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ ٱللهِ قَدْ مَسَّتْنِي" (أيوب ١٩: ٢١). لكن، كان كل ما تلقاه أيوب من أصدقائه هو كلمات قاسية وجارحة، حتى وصفهم بأنهم "مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ" (أيوب ١٦: ٢)

لكن التعزية التي يعطيها اللّه مختلفة تمامًا. وهو يريد أن يستخدم الذين اختبروا تعزيته في وسط الألم ليعزُّوا الآخرين الذين يتألمون. يقول ٢كورنثوس ١: ٣-٤، «مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، أَبُو ٱلرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، ٱلَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِٱلتَّعْزِيَةِ ٱلَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ ٱللهِ». ففي آلامنا، دعونا نقر أول كلِّ شيء بيد أبينا المحب، الذي "لن يسمح البتة لابنٍ له بأن يذرف دموعًا لا داعي لها". وثانيًا، «ٱلَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ ٱللهِ، فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ، كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ، فِي عَمَلِ ٱلْخَيْرِ» (١بطرس ٤: ١٩). وثالثًا، كتب يعقوب يقول: «أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ» (يعقوب ٥: ١٣). ورابعاً، اتكل على كلمة اللّه: «تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى خَلَاصِكَ. كَلَامَكَ ٱنْتَظَرْتُ» (مزمور ١١٩: ٨١). علاوة على ذلك، أضاف الكاتب: «اُذْكُرْ لِعَبْدِكَ ٱلْقَوْلَ ٱلَّذِي جَعَلْتَنِي أَنْتَظِرُهُ.

هَـذِهِ هِـيَ تَعْزِيَتِـي فِـي مَـذَلَّتِي» (مزمـور ١١٩: ٤٩-٥٠). فـإن اللهّ أمـين تجـاه كلمته، ولذلك يمكن الوثوق بهذه الكلمة تمامًا، لأنه إلهٌ يفي بكلامه.

إلى رفقـائي في الألم والضـيق، دعونـا نتكـل علـى محبـة إلهنـا الـتي لا تتغيَّـر وعلـى أمانتـه. فهـو قـد قـال: «لا تَخَـفْ لأَنِّـي مَعَـكَ. لا تَتَلَفَّـتْ لأَنِّـي إِلَهُـكَ. قَـدْ أَيَّـدْتُكَ وَأَعَنْتُـكَ وَعَضَـدْتُكَ بِيَمِـينِ بِـرِّي» (إشـعياء ٤١: ١٠). أخـيرًا، تـذكَّروا جيـدًا أن الـرب «كَثِـيرُ ٱلرَّحْمَـةِ وَرَؤُوفٌ» بالحقيقـة (يعقـوب ٥: ١١). وإن آلامنـا وقتيـة، لأنـه «عِنْـدَ ٱلْمَسَـاءِ يَبِيـتُ ٱلْبُكَـاءُ، وَفِـي ٱلصَّـبَاحِ تَرَنُّمٌ» (مزمور ٣٠: ٥). وحياة أيوب دليلٌ على ذلك.

"وَٱلـرَّبُّ سَـائِرٌ أَمَامَـكَ. هُـوَ يَكُـونُ مَعَـكَ. لا يُهْمِلُـكَ وَلا يَتْرُكُـكَ. لا تَخَـفْ وَلا تَرْتَعِبْ" (تثنية ٣١: ٨)

"بِسَـلامَةٍ أَضْـطَجِعُ بَـلْ أَيْضًـا أَنَـامُ، لأَنَّـكَ أَنْـتَ يَـارَبُّ مُنْفَـرِدًا فِـي طُمَأْنِينَـةٍ تُسَكِّنُنِي" (مزمور ٤: ٨)

"أَلَـيْسَ عُصْـفُورَانِ يُبَاعَـانِ بِفَلْـسٍ؟ وَوَاحِـدٌ مِنْهُمَـا لا يَسْـقُطُ عَلَـى ٱلأَرْضِ بِـدُونِ أَبِـيكُم. وَأَمَّـا أَنْـتُمْ فَحَتَّـى شُـعُورُ رُؤُوسِـكُمْ جَمِيعُهَـا مُحْصَـاةٌ. فَـلا تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!" (متى ١٠: ٢٩-٣١).

دروس من سفر أيوب

سفر أيوب هو على الأرجح أقدم سفر في الكتاب المقدس، وربما كُتِب تقريبًا في عهد موسى. وقد كُتِبت العديد من الكُتب عن أيوب، وأحد هذه الكتب موجود في مكتبتي، ويتألَّف تقريبًا من ٥٠٠ صفحة. أتذكَّر ذات مرة أن أحدهم شرع في قراءة الكتاب المقدس، فنظر إلى الفهرس، ثم قرر أن يبدأ بسفر أيوب بسبب عنوانه القصير. لكن سفر أيوب ليس أسهل سفر في الكتاب المقدس يمكن قراءته، بل وإن فهمه أكثر صعوبة أيضًا.

في غالبية المخطوطات العبرية، ورد الاسم أيوب ٥٦ مرة (٧ × ٨) في السفر الذي يحمل اسمه، ومرتين في سفر حزقيال (حزقيال ١٤: ١٤،

٢٠). ويرفق هذا المقطع الأخير اسم أيوب باسمي نوح ودانيال، وهما الاسمان اللذان يعنيان على التوالي «راحة» و«اللّه ديَّاني». وسواء كان الأمر يتعلق بأيام نوح قبل دينونة اللّه للعالم بالطوفان (تكوين ٦-٨)، أو بأيام دانيال والسبي البابلي (دانيال ١)، فإن هذه النصوص تُظهِر سلطان اللّه التام، دون تجاهُل مسؤولية الإنسان في الوقت نفسه. كذلك، تُظهِر كلمة اللّه أمانته تجاه خليقته وتجاه شعبه، أينما كانوا ومهما كان احتياجهم، رغم تقصيرهم وإخفاقاتهم.

يصف سفر أيوب كلام الرب مع الشيطان، الذي فيه قال اللّه عن أيوب إنه «عبدي». وهذا التعبير يربط أيوب بموسى، الذي أكرمه اللّه بهذا اللقب نفسه (ملاخي ٤: ٤). كما استُخدِم أيضًا للإشارة إلى المسيا، الذي دُعي «عَبْدِي «ٱلْغُصْنِ» (زكريا ٣: ٨).

سلَّط يعقوب الضوء في رسالته على صبر أيوب واحتماله، وعلى «أَنَّ ٱلرَّبَّ كَثِيرُ ٱلرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ» (يعقوب ٥: ١١). وتصف كلمة اللّه صبر أيوب بأنه مثال ونموذج لجميع المؤمنين، حتى أولئك الذين سيؤمنون خلال الضيقة العظيمة الآتية (متى ٢٤: ١٥-٣٠).

بعض التفاصيل المهمة

يقدم لنا أيوب ١: ١ بعض المعلومات المهمة: «كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ ٱسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا ٱلرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي ٱللهَ وَيَحِيدُ عَنِ ٱلشَّرِّ». دعونا نستخلص من هذه الآية بعض الأفكار:

١. تصف الكلمات الأولى من هذه الآية أيوب بأنه «رجلٌ». في مجتمعنا الحالي، يوجد الكثير من الجدل حول هذه المسألة. لكن الكتاب المقدس واضح تمامًا بشأن هذا الأمر (انظر تكوين ١-٢). فعلينا ألا نخجل من التأكيد على كوننا إما رجالًا وإما نساء، حيث إنه لا توجد خيارات أخرى.

٢. كان أيوب يسكن في أرض عوص، وهي المنطقة التي أصبحت فيما بعد تابعة لأدوم (مراثي إرميا ٤: ٢١). ورد الاسم "عوص" لأول مرة في تكوين ١٠: ٢٣، ضمن قائمة من ٧٠ أمة كانت موجودة في أيام أبرام. ومن المثير للاهتمام أن تلك الأمم ستلعب دورًا في الأحداث النبوية المقدَّمة بالتفصيل عبر كلمة اللّه.

٣. الاسم أيوب معناه على الأرجح "صرخة بؤس" أو "سوف يبكي". وإذا قبلنا بهذا المعنى، نستطيع القول بأن هذا الاسم يعكس سمة عامة مشتركة لدى كل إنسان منذ لحظة ميلاده. لكن، يُظهر سفر أيوب كيف تعلَّم أيوب أن يصغي لصوت اللّه في ظروفه الشخصية. فإن تجارب أيوب قادته إلى أن يرى ذاته في نور اللّه (أيوب ٤٢: ١-٦). وبعدما خرج أيوب من محنته متغيرًا، أصبح سبب بركة لأصدقائه (أيوب ٤٢: ٧-١٠)، بل ولزوجته أيضًا، التي أنجب منها سبعة بنين وثلاث بنات آخرين غير أولادهم العشرة الذين ماتوا في بداية محنته. كذلك، تجاوبت عائلة أيوب الأكبر مع ما حدث بصورة رائعة (أيوب ٤٢: ١١).

٤. من بين الصفات الأربع الرائعة التي اتسم بها أيوب، وردت أولى هذه الصفات، وهي «**كامل**»، سبع مرات في هذا السفر (أيوب ١: ١، ٨؛ ٢: ٣؛ ٨: ٢٠؛ ٩: ٢٠، ٢١، ٢٢). وهذا اللفظ، الذي هو Tam في اللغة العبرية، جاء في بعض الترجمات بمعنى "بلا لوم"، لكن معناه الحرفي بالفعل هو «كامل». وقد ورد للمرة الأولى في تكوين ٢٥: ٢٧، كوصفٍ ليعقوب، وجاء في بعض الترجمات بمعنى "عادي" أو "مسالم". وبحسب السياق، يمكن ترجمته أيضًا إلى "صحيح" أو "سليم" أو "منظم" أو "هادئ". وفي بعض الأحيان، تأتي الكلمة العبرية Tamجزءًا من كلمات أو أسماء مُركَّبة.

٥. الصفة التالية التي اتَّسم بها أيوب هي أنه كان «**مُستقيمًا**»، وهي تأتي من الأصل العبري yashar، وهي نقيض "الملتوى" أو "المعوج". وكثيرًا ما تُذكَر الاستقامة بالارتباط بالأمانة في خدمة اللّه. تشدِّد هذه الكلمة على أن أيوب كان بارًّا، في القول والفعل. وهذا ما يريده اللّه من شعبه بعدما يسمعوا وصاياه (انظر خروج ١٥: ٢٦).

٦. تُضيف العبارة القصيرة التالية أن أيوب كان «**يَتَّقِي ٱللَّهَ**». لا يعني ذلك أن أيوب كان يخاف من اللّه، بل أنه كان يحترمه ويُكرمه، راغبًا في إطاعته بسبب محبته له. وأولئك الذين يخافون الرب ينتمون، روحيًا، إلى ذرية يعقوب (مزمور ٢٢: ٢٣-٢٤)، الذي تغير بواسطة عمل عجيب من روح اللّه. لكن هذا لا

ينطبق على كل من يتحدر من يعقوب (انظر رومية ٩: ٦)، بل ينطبق على الذين أُجرِي فيهم عمل إلهي مماثل، أو سيُجري فيهم في المستقبل.

٧. نتج عن مخافة أيوب للّه أنه كان "**يحيد عن الشر**"، متى ظهر، وبأي شكل يظهر به. فلم يُحاول أيوب المساومة، بل على النقيض، إن محبته ومخافته للّه دفعاه إلى إبعاد نفسه عن الشر.

هذه النقاط المذكورة أعلاه عن أيوب هي سمات يُحب اللّه أن يراها في جميع المؤمنين.

أمور تجري من وراء الستار، وما يأتي بعد ذلك

هذه التفاصيل المتعلقة باستقامة أيوب الشخصية جاءت متبوعة بوصف موجز لأولاد أيوب العشرة (أيوب ١: ٢)، وممتلكاته، وخَدَمه الكثيرين (أيوب ١: ٣)، وكذلك إلى إقامة بنيه السبعة ولائم، ودعوة أخواتهم الثلاث إليها (أيوب ١: ٤). ثم تصف الآية ٥ استقامة أيوب وتقواه، مُسلطة الضوء على اهتمامه بأولاده. يا له من نموذج!

إن الشيطان هو المُشتكي على الإخوة، وهو نشط للغاية (اقرأ رؤيا ١٢). لم يعرف أيوب شيئًا ممَّا نعرفه نحن الآن من خلال كلمة اللّه عما كان يحدث خلف الستار، ولا سيما فيما يتعلق بأفعال الشيطان وسماح اللّه له بأن يضرب أيوب (أيوب ١: ٦-١٢). لدينا هنا مثال آخر عن إمساك اللّه بزمام الأمور، ووضعْه حدودًا واضحة لما يسمح به

للشيطان. تصف الآيات ١٣-١٩ أربع هجمات شنَّها الشيطان، أسفرت عن خسارة أيوب لممتلكاته وأولاده العشرة. لكن رغم هذه الشدائد التي لا يمكن استيعابها، سجد أيوب للّه (أيوب ١: ٢٠)، وقال: «اَلرَّبُّ أَعْطَى وَاَلرَّبُّ أَخَذَ»، ثم اختتم كلامه قائلاً: «فَلْيَكُنِ اَسْمُ اَلرَّبِّ مُبَارَكًا» (أيوب ١: ٢١).

بعد هذه المآسي، سمح اللّه للشيطان بأن يضرب أيوب بمرض خطير (أيوب ٢: ١-٨). وهذا الهجوم الخامس والشديد إلى حد يصعب استيعابه أعقبه هجومٌ سادس، وهو حث زوجة أيوب إياه على أن «يلعن اللّه ويموت» (أيوب ٢: ٩). كانت هذه الهجمات بمثابة امتحانات سمح بها اللّه، وبعدها سبَّ أيوب يوم ميلاده (أيوب ٣).

لكن قبل أن يبدأ أيوب كلامه، نقرأ عن أصدقائه الثلاثة الذين أتوا ليعزُّوه. لكنهم ظلوا صامتين لمدة سبعة أيام (أيوب ٢: ١١-١٣). وأفترض أننا نجد في هؤلاء الأصدقاء التجربة السابعة التي ضربت أيوب، لأنه رغم نواياهم الحسنة وكلماتهم الجيدة الكثيرة، نفهم أن التعامل معهم كان أصعب على أيوب من تعامله مع كل ما تعرض له قبل ذلك. لكن في النهاية، استخدم اللّه حتى هذه الأمور نفسها لكي تعمل معًا لخير أيوب (انظر رومية ٨: ٢٨). وفي النهاية، رأى أيوب كل شيء من منظور اللّه واستطاع أن يحمد اللّه (أيوب ١: ٢١؛ ٤٢: ١-٦)، معترفًا أنه نطق بما دعاه «عَجَائِبَ» (أيوب ٤٢: ٣).

استُخدِمت هذه الكلمة تحديدًا (عجائب) للمرة الأولى في الكتاب المقدس في سؤال اللّه لإبراهيم قائلًا: «هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى اَلرَّبِّ شَيْءٌ؟»

(تكوين ١٨: ١٤)، أو حرفيًّا: «هل يوجد ما هو عجيبٌ على الرب؟» فإن اللّه هو إله العجائب، الصانع عجائب حتى في الدينونة (خروج ٣: ٢٠)، ومن خلال إنقاذ إسرائيل من أرض مصر، الأمر الذي لأجله سبَّحه موسى (خروج ١٥: ١١). فقد تعهَّد اللّه بأن يصنع العجائب والآيات والقوات لخير شعبه (خروج ٣٤: ١٠).

رجوعًا إلى أصدقاء أيوب، نقرأ أنهم جاءوا ليعزُّوه (أيوب ٢: ١١-١٣). وبعد سبعة أيام من الانتظار، ثم بعدما سب أيوب يوم ميلاده، ذكر هؤلاء الأصدقاء أمورًا كثيرة كانت صائبة، لكنهم لم يفعلوا ذلك في شركة حقيقية مع اللّه. بل على النقيض، وبناءً على آرائهم الشخصية، قاموا بتقييم ما حدث لأيوب، وخرجوا بحلولهم الخاصة، سواء بناءً على الخبرة (مثل أليفاز)، أو على التقليد والموروثات (مثل بلدد) أو على الحدس (مثل صوفر). وقد اتهموا أيوب بأنه ارتكب خطايا جسيمة، الأمر الذي أنكره أيوب ودحضه، لأنه كان مُتمسكًا باللّه وليِّه (أيوب ١٩: ٢٥)، فأصرَّ على براءته من الذنب. وقد تسبَّب رد أيوب في اشتداد هجوم أصدقائه عليه، في حين ظل أيوب يدفع ببراءته (أيوب ٢٧). وكل هذا قيل وسُجِّل في مجموعة من ثلاث جولات أتَمَّها كلٌّ واحد منهم.

بعد ذلك، أشاد أيوب بالعديد من السمات الرائعة للحكمة الحقيقية، ناسبًا الفضل للّه (أيوب ٢٨)، لكنه فعل ذلك في تباهٍ وفخر بنفسه (أيوب ٢٩). ونحن نُقر بالفعل بروعة صفات أيوب، رغم شكواه من وضعه (أيوب ٣٠). يمكن تفهُّم هذه الشكوى من المنظور البشري.

فمن منا لن يفعل ذلك في موقف صعب كالذي اجتاز فيه أيوب؟ ثم في ثقة واضحة بالنفس، أكمل أيوب كلمات دفاعه عن نفسه متحدثًا عن نزاهته وصفاته الحسنة وأفعاله الجديرة بالثناء (أيوب ٣١). وهذا الكلام لم يُكتَب لانتقاد أيوب، بل لنضع في اعتبارنا التفاصيل التي تقدِّمها لنا كلمة اللّه لأجل تعليمنا (رومية ١٥: ٤).

أليهو صديق أيوب يتدخل

بعدما تمت أقوال أيوب (أيوب ٣١: ٤٠)، حدث تطور غير متوقع من صديق رابع، وهو أليهو. وقد كان أصغر سنًّا من الأصدقاء الثلاثة الآخرين، ولهذا السبب لم يكن قد نطق بشيء حتى الآن. ومع ذلك، حمي غضب أليهو على أيوب، الذي حسب نفسه بارًا، إذ برَّر نفسه أمام اللّه (أيوب ٣٢: ١-٢). وقد أوضح أليهو أنه كان غاضبًا أيضًا من الأصدقاء الثلاثة لأنهم أدانوا أيوب دون سبب مشروع ووجيه (أيوب ٣٢: ٣-٥). علاوة على ذلك، برَّر أليهو اللّه في أقواله وأفعاله (أيوب ٣٢: ١١-٢٢). ويُعتبر هذا درسًا عمليًّا لنا جميعًا، مفاده أن ندرك أولاً أن اللّه دائمًا على حق، وثانيًا، أننا يجب أن نصغي بعناية للآخرين ونتريث قبل أن نتكلم.

طلب أليهو من أيوب أن يُولي اهتمامًا جادًا لما لديه من كلام (أيوب ٣٣: ١-٧). وقد تحدث باحترام شديد عن عظمة اللّه (أيوب ٣٣: ١٢)، الذي له وحده الحق ألا يعطي حسابًا عن شيء (أيوب ٣٣: ١٣). كانت لدى أليهو رغبة صادقة في أن يستعيد أيوب علاقته الكاملة باللّه (أيوب ٣٣: ٣١-٣٣)، وكذلك في استرداد أصدقائه الذين اتهموا أيوب خطأً. وبينما كان

أليهو يتكلم، أكد أن اللّه دائمًا على حق، وأنه لا يمكن أن يكون ظالمًا (أيوب ٣٤: ١٠-١٥). فهو كلي السلطان ويعلم كلَّ شيء، لأنه يتعامل مع كل شيء بعدل (أيوب ٣٤: ٢٥-٢٦).

في خطاب أليهو الرابع (أيوب ٣٦)، أظهر مدى عظمة اللّه، الذي هو كلي السيادة، والذي لا يوجد مثله معلِّمٌ (أيوب ٣٦: ٢٢-٢٣). وأخيرًا، حثَّ أليهو أيوب على أن يفعل ثلاثة أشياء، وهي أن ينصت، ويقف، ويتأمل بعجائب اللّه (أيوب ٣٧: ١٤). وهذه الآية تضع تحديات أمامنا جميعًا.

تدخل الله النهائي

بعد الأصحاحات الستة (أيوب ٣٢-٣٧) التي تضمنت أحاديث أليهو الأربعة التي شكَّلت تحديًا، يوجَّه انتباهنا إلى اللّه، الذي تكلَّم إلى أيوب من العاصفة. إن عظمة اللّه المذهلة، وحكمته التي لا نستطيع إدراكها، تتجليان في هذا الكون الشاسع وفي معجزات الطبيعة الكثيرة (أيوب ٣٨: ٢٢-٣٩: ٣٠). تحدى اللّه أيوب أن يُخاصم القدير (أيوب ٤٠: ١-٢)، وبعد ذلك، اعترف أيوب بحقارته وبأنه لن يجاوب اللّه بعد الآن (أيوب ٤٠: ٣-٥).

ثم تكلم اللّه مرة ثانية إلى أيوب من العاصفة (أيوب ٤٠: ٦). وما أهيب كلامه، وأعظم سلطانه الظاهر في كونه، سواء في اتساعه الذي لا يُدرك أو في أدق تفاصيله. هذا أمرٌ مُذهلٌ! وإننا سنعبده إلى الأبد لأنه إلهنا الخالق العظيم (رؤيا ٤: ١١). وفي حديث اللّه الثاني (أيوب ٤٠: ٦-

٤١: ٣٤). تحدى أيوب بأن يتأهب ليتكلم معه. ثم تابع اللّه حديثه (أيوب ٤٠: ٦-١٤). وأعطى أيوب تفاصيل عن بهيموث العظيم الذي وضعه اللّه على هذه الأرض (أيوب ٤٠: ١٥-٢٤). والذي يُمثل أول أعمال اللّه (أيوب ٤٠: ١٩). بعد ذلك، حثَّ اللّه أيوب على أن يفكر فيما إذا كان يستطيع السيطرة على هذا الحيوان القوي. وماذا عن لوياثان القوي، ملك البحر، الذي وصفه اللّه في أيوب ٤١: ١-٣٤؟ لا عجب إذن أن اعترف أيوب بأن هذه الأمور هي «عَجَائِبَ» (أيوب ٤٢: ٣). وبعد ذلك، قدَّم أيوب توبة رائعة (أيوب ٤٢: ٦).

ملاحظات ختامية

دعونا نتأمل في التفاصيل المقدَّمة في أيوب ٤٢. فقد تاب أيوب وندم «فِي ٱلتُّرَابِ وَٱلرَّمَادِ» (أيوب ٤٢: ٦). بعد ذلك، خاطب اللّه أصدقاء أيوب الثلاثة لأنهم لم يقولوا الصواب فيه كما فعل عبده أيوب (أيوب ٤٢: ٧). وأمرهم اللّه بأن يُصعِدوا مُحرقة عن أنفسهم وكذلك عن عبده أيوب كي يُصلي أيوب من أجلهم (أيوب ٤٢: ٨). وقد فعلوا ذلك، وقبلهم اللّه، ورفع وجه أيوب (أيوب ٤٢: ٩). كانت هذه نقطة تحول حقيقية، وصلَّى أيوب بالفعل من أجل أصدقائه (أيوب ٤٢: ١٠).

وتُخبرنا الآية نفسها بأن اللّه أعطى أيوب ضعف الخير الذي كان له قبل بداية ضيقاته. وبعد هذا الاسترداد المهم، نقرأ أن جميع إخوة أيوب وأخواته ومعارفه أتوا لزيارته، وعزوه، وقدموا له هدايا خاصة (أيوب ٤٢: ١١). وفي الختام، ذُكِر أن الرب بارك آخرة أيوب أكثر من أولاه، حيث أعطاه اللّه ضعف عدد الحيوانات التي كانت له قبل ضيقته (أيوب ٤٢: ١٢).

كذلك، أعطى اللّه أيوب سبعة بنين وثلاث بنات، وهو ما يشير إلى ضعف آخر (أيوب ٤٢: ١٣). لكن مع مراعاة الاختلافات الأساسية بين الحيوانات والبشر، حيث إن أرواح البشر أبدية. فمع أن أجسادنا تموت، لكن أرواحنا أبدية، في حين تفنى الحيوانات تمامًا عندما تموت. وقد ذُكِرت أسماء بنات أيوب الثلاث، ووُصِفن بأنهن أجمل النساء، كما حصلن على ميراث مساوٍ لإخوتهن (أيوب ٤٢: ١٤-١٥). تُخبرنا الآية ١٦ بأن أيوب عاش ١٤٠ سنة أخرى، وهو ما يقترب من متوسط عمر إبراهيم وعائلته. ورأى أيوب بنيه، وبني بنيه، إلى أربعة أجيال (أيوب ٤٢: ١٦). «ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ ٱلأَيَّامِ» (أيوب ٤٢: ١٧).

يمكننا تعلم العديد من الدروس من قصة أيوب ومن سفر أيوب، مثل أمانته وصدقه، وولائه لزوجته وعائلته، وعنايته بالفقراء، وفوق كل ذلك، إكرامه للّه من البداية وإلى النهاية. كانت هناك لحظات من الشك، بل ومن الاتهامات للّه، لكن أيوب ظل مخلصًا للّه، رغم توسلات زوجته وأصدقائه إليه بالاستسلام.

ليتنا، اليوم وإلى أن يأتي الرب يسوع، نتمسك بالرب في ضعفاتنا وتقصيراتنا، لأنه أمين وكثير الرحمة. كما أنه قال: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ٢٠).

شيرين غبريال

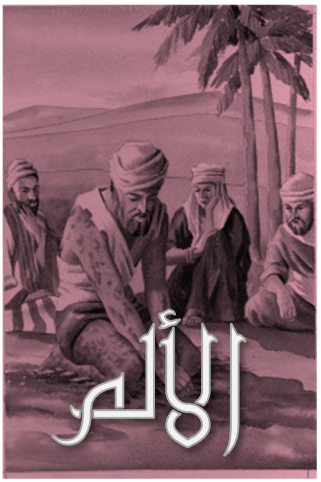

الألم في سفر أيوب

أحد الأسئلة التي يطرحها الملحدون هو: "لماذا نتألم إذا كان هناك إله قدير ومحب؟" لا داعي للتعجُّب من ذلك، لأن اللّه خصص سفرًا كاملاً - وهو سفر أيوب - لمناقشة هذه المسألة.

القصة

إن تفاصيل قصة أيوب مثيرة للاهتمام. وهذا السفر هو جزء من العهد القديم، الذي يخاطب بني إسرائيل، لكن تدور القصة في أرض عوص، وهي أرض مختلفة عن أرض إسرائيل، وجميع الشخصيات فيها ليسوا من بني إسرائيل. لا توجد تفاصيل واضحة حول الإطار الزمني لما هو مُسجَّل في هذا السفر، لكن افترض العديد من المُفسرين أن أيوب عاش في الزمن نفسه الذي عاش فيه إبراهيم. ولا نعرف بوضوح هوية الكاتب البشري للسفر، لكننا نعلم أن اللّه يريدنا أن نُركز على الأسئلة التي تثيرها آلام أيوب، وليس على القصة نفسها.

الشخصية الأولى التي نلتقي بها في هذه القصة الحقيقية هي أيوب. فقد كان رجلًا ثريًّا ومُستقيمًا (أيوب ١: ١-٣)، ثم خسر كلَّ ممتلكاته وأولاده. ويعلن الكتاب المقدس أنه اتكل على اللّه حتى في أسوأ الظروف (أيوب ١: ٢١؛ ٢: ١٠). إلا أنه كان يعاني من مشكلة واحدة واضحة، وهي أنه كان يتبنى نظرة خاطئة عن برِّه. ومن المثير للاهتمام أن أيوب كان حريصًا على تقديم الذبائح بانتظام للتكفير عن خطايا أبنائه وبناته (أيوب ١: ٥).

كان العدو أو الخصم في هذه القصة هو الشيطان. واسم "الشيطان" معناه "المُشتكي"، وهذا تحديدًا هو الدور الذي لعبه الشيطان في هذه القصة. فعندما تراءى الشيطان في حضرة اللّه، اشتكى على أيوب بأنه كان بارًّا كي ينال البركات من اللّه. وزعم الشيطان بأن أيوب سيرفض اللّه إذا خسر بركاته. لذلك، سمح اللّه، من أجل تتميم مقاصده الخاصة، للشيطان بأن يضرب أيوب، لكن دون أن يأخذ حياته. وهذا يُوضح حقيقتين روحيتين مهمتين:

- إن الشيطان يتمتع بقوة محدودة، ولا بد أن يحصل على إذن من اللّه قبل مهاجمة أيِّ إنسان، بمن في ذلك أولاد اللّه. وهذا أمرٌ معزٍّ، لأننا نعلم أن اللّه مسيطر دائمًا على الأمور حتى في أوقات الألم.
- قد يستخدم اللّه الشيطان لتتميم مقاصده في حياة أولاده، وقد يحدث ذلك من خلال الألم.

ثم تُقدم لنا القصة أربعة أصدقاء لأيوب. كان الثلاثة الأوائل - وهم أليفاز وبلدد وصوفر - مُتحدين تقريبًا في وجهات نظرهم، التي كانت عقائدية، ودينية، وفي بعض الأحيان كانت مبنية على الخبرة (أيوب ٤: ٨؛ ٥: ٢٧). وقد قدم كلٌّ منهم ثلاثة خطابات، وردَّ أيوب عليها جميعًا. كان هؤلاء الأصدقاء يرون أن

اللّه بعيدٌ عن البشر، وكانوا يرونه من خلال أعماله في حياة البشر. وكان رأيهم هو أن اللّه يُعاقب خطايا الإنسان بالألم (أيوب ٥: ١٧-١٨؛ ٨: ٣-٤)، فخلصوا إلى أن أيوب خاطئ واقع تحت عقوبة اللّه. وكان أليهو، الصديق الرابع، هو أصغرهم سنًا، لكن كان لديه فهم أفضل عن اللّه.

الموضوع الرئيسي

يدور الحديث الرئيسي بين أيوب وأصدقائه حول الألم. فقد كانوا يحاولون الإجابة عن السؤال التالي: "لماذا يتألم الأتقياء؟"

حاول هارولد كوشنر، وهو معلّم يهودي وكاتب، أن يتناول هذا السؤال في كتابه "عندما تحدث أمور سيئة لأشخاص صالحين"، وقال إن المناقشات في سفر أيوب تقودنا إلى الافتراضات الصعبة التالية:

أ. إن اللّه كليُّ القدرة، وهو يُسبب كلَّ ما يحدث في العالم. ولا يحدث شيء بمعزل عن مشيئته.

ب. إن اللّه عادل، وهو يحرص على أن يحصل البشر على ما يستحقونه، بحيث يزدهر الصالحون ويعاقَب الأشرار.

ج. كان أيوب شخصًا صالحًا.

طالما ظل أيوب يتمتع بصحة جيدة وثراء، لم تكن أي مشكلة تَكمُن في هذه الافتراضات الثلاثة. لكن بمجرد حلول الكارثة، لم يكن من الممكن قبول سوى اثنين من هذه الافتراضات الثلاثة، وكان ينبغي رفض واحد منها. وبالتالي، يمكن قبول الإفتراض الأول والثاني (أ و ب)، لكن ليس الثالث (أي ج)، أو يمكن قبول الافتراض الأول والثالث (أ و ج)، لكن ليس الثاني (ب). أما الخيار الأخير،

فهو أن نقبل الافتراضين الثاني والثالث (ب و ج)، لكن ليس الأول (أ). تُركز الحُجج في سفر أيوب بشكل أساسي على تحديد أي من هذه الافتراضات الثلاثة صحيح وأيها خاطئ.

كانت وجهة نظر أصدقاء أيوب مؤيِّدة للافتراضين الأول والثاني (أ و ب)، لكن ليس الثالث (ج). فقد كانوا يرون أن اللّه كلي القدرة (أ) وعادل (ب)، لكن بما أن أيوب كان يتألم، فلا بد أنه شخص شرير (ليس ج). وقد اتهموه بصورة مباشرة بفعل الشر: «إِنَّ فَمَكَ يَسْتَذْنِبُكَ، لا أَنَا، وَشَفَتَاكَ تَشْهَدَانِ عَلَيْكَ» (أيوب ١٥: ٦)، وزعموا أن خطيته جسيمة: «أَلَيْسَ شَرُّكَ عَظِيمًا، وَآثَامُكَ لا نِهَايَةَ لَهَا؟» (أيوب ٢٢: ٥). وكي يساعدوه على الخروج من ألمه، نصحوه بالتوبة: «إِنْ أَبْعَدْتَ ٱلإِثْمَ ٱلَّذِي فِي يَدِكَ، وَلا يَسْكُنُ ٱلظُّلْمُ فِي خَيْمَتِكَ» (أيوب ١١: ١٤).

لكن، كان رأي أيوب مؤيِّدًا للافتراضين الأول والثالث (أ و ج)، لكن ليس الثاني (ب). فقد كان يرى أن اللّه كلي القدرة وعظيم، وأنه مسيطر على كل شيء (أ)، كما دافع عن نفسه قائلاً إنه صالح وبار (ج). وهذا قاده إلى استنتاج أن اللّه ظالم حتمًا في الطريقة التي تعامل معه بها (ليس ب). فقد هتف قائلاً: «إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَٱلذَّهَبِ» (أيوب ٢٣: ١٠)، وقال: «تَمَسَّكْتُ بِبِرِّي وَلا أُرْخِيهِ» (أيوب ٢٧: ٦). بل وقد عارض عدل اللّه بقوله: "وَإِنْ كُنْتُ كَامِلاً يَسْتَذْنِبُنِي" (أيوب ٩: ٢٠).

قدَّم حديث أليهو منظورًا جديدًا. فقد رأى أن كل الافتراضات (أ، ب، ج) يمكن أن تكون صحيحة. رأى أليهو أن اللّه كلي القدرة (أ) وعادل (ب)، لكن بدلاً من القول بأن أيوب كان يتألم بسبب خطاياه، طرح خيارًا آخر، وهو أن اللّه قد يسمح بالألم حتى يتجنب الشخص الخطية المستقبلية وحتى تُبنَى شخصيته

(أيوب ٣٧: ١٣). لذلك، يمكن لهذا الخيار أن يقبل حقيقة أن أيوب كان شخصًا بارًا، حتى عندما اجتاز في الألم.

رأي الله

طوال هذا السفر، تحدَّى أيوب اللّه كي يُجيبه ويكشف له عن أسباب آلامه. وقد قبل اللّه التحدي في أيوب ٣٨-٤٠. طرح اللّه على أيوب ٧٧ سؤالاً عن الخليقة وعن إدارة الكون. وكان الهدف من هذه الأسئلة هو إبراز عظمة اللّه. لم يتمكن أيوب من الإجابة على جميع الأسئلة. وكانت نتيجة هذا الاختبار هي أن أيوب لم يكن مُؤهَّلاً لاتهام اللّه، لأن اللّه أعلى من الإدراك البشري.

أعقب اللّه هذه الأسئلة بوصف مخلوقين كانا خارج نطاق سيطرة أيوب (أيوب ٤٠-٤١)، وهما بهيموث (وهو على الأرجح وحيد القرن) ولَوِيَاثَانَ (تمساح أو مخلوق بحري)، اللذان هما مخلوقان مذهلان وقويَّان خلقهما اللّه. وهما يرمزان للفوضى والخطر، ومع ذلك لا يزال اللّه قادرًا على التحكم فيهما. يمكن لكلا هذين الحيوانين أن يُسبِّبا الكثير من الضرر، لكنهما لا يستطيعان تجاوُز ما يسمح به اللّه، وهما ليسا خارج نطاق سيطرة اللّه على الإطلاق. إن الرسالة التي أراد اللّه أن يوضحها لأيوب هي أننا نعيش في عالم غير مصمَّم لمنع الألم. وقد صحح اللّه سوء الفهم لدى أيوب وأصدقائه بشأن التصريح القائل إن "لا شيء يحدث بمعزل عن مشيئته"، إذ يفسح اللّه في كثير من الأحيان مجالًا لحدوث الشر دون أن يكون راغبًا في ذلك.

إننا بحاجة إلى التمييز بين سيادة اللّه، ومشيئة اللّه، ومقاصد اللّه. إن مقاصد اللّه تتحقق دائمًا. وتشمل مقاصده وقت ميلادنا وماتنا. كما أن خلاصنا هو جزء من مقاصد اللّه. تشمل مشيئة اللّه رغباته لحياتنا. فهو يريد أن نكون

قديسين وأمناء، وأن نسلك بحسب الإنجيل. قد تتمِّم إرادتنا وأفعالنا البشرية خطة اللّه لحياتنا، لكننا نخفق في ذلك في كثير من الأحيان؛ وبالتالي، فإننا كثيرًا ما نخالف مشيئة اللّه. لكن حتى عندما نكون بعيدين عمَّا يريده اللّه لحياتنا، لن يسمح لنا اللّه بأن نخرج خارج حدود سيادته. إن إرادتنا وأفعالنا البشرية تتداخل مع مقاصد اللّه، التي يجب أن تتحقق، ومع مشيئة اللّه، التي قد تتحقق أو لا تتحقق، لكن اللّه لن يسمح لنا البتة بأن نخرج خارج حدود سيادته.

الموضوع الحقيقي للسفر

عند الوصول إلى ختام السفر، ندرك موضوعه الحقيقي، لأن الموضوع الصحيح ليس "لماذا يتألم الأتقياء؟" بل هو: "اتكل على اللّه في أوقات الألم".

لم نقرأ أن أيوب قد حصل على إجابة لأسئلته بشأن أسباب ألمه. فلم يعرف أيوب شيئًا عن المحادثة التي دارت بين اللّه والشيطان، وظل غير فاهم لسبب مُعاناته. ومع ذلك، أدرك أيوب عظمة اللّه ومدى اهتمامه به ومحبته له.

ونجد ملخصًا رائعًا لسفر أيوب في العهد الجديد: «هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ ٱلصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ ٱلرَّبِّ. لأَنَّ ٱلرَّبَّ كَثِيرُ ٱلرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ» (يعقوب ٥: ١١).

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نحن نعيش في عالم مليء بالشر، يُسبِّب الألم والمعاناة. تذكَّروا أن اللّه ليس هو سبب هذا الألم، لكن هذا الألم لا يمكن أن يخرج خارج نطاق سيادته. ويستطيع اللّه أن يستخدم الألم لنمونا الروحي، وهو دائمًا معنا في أوقات الألم والمعاناة!

يتمحور سفر أيوب حول اختبار مؤمنٍ يُدعَى أيوب. عاش هذا الرجل منذ زمان بعيد، لكن ما اختبره لا يزال يمثل أهمية في يومنا هذا.

افترض البعض أن أيوب عاش تقريبًا في أيام إبراهيم، وهذا يستند إلى ما هو مذكور وما هو غير مذكور في السفر. فقد كان عمره على الأقل ١٤٠ سنة (أيوب ٤٢: ١٦)، وربما أكثر من ذلك، حيث تقول الآية «بَعْدَ هَذَا». ويتوافق عمره مع متوسط العمر في زمان إبراهيم الذي عاش ١٧٥ سنة (تكوين ٢٥: ٧). كذلك، الدور الذي أداه أيوب كأب للعائلة موجودٌ في أخاء سفر التكوين، بدءًا من إبراهيم. كان أيوب يعرف آدم (أيوب ٣١: ٣٣)، ويعلم بشأن الطوفان الذي حدث في أيام نوح (أيوب ١٢: ١٥)، لكن في الوقت نفسه، لا يوجد ذكر لشريعة موسى، وهو ما يوحي بأن أيوب عاش قبل موسى، مثل إبراهيم تمامًا.

أولى السفر اهتمامًا كبيرًا لآلام أيوب، وهو ما يُمكن أن نقول إنه يُشير إلى أن أمورًا سيئة يمكن أن تحدث للأشخاص الصالحين. ومع ذلك، هذا ليس الدرس الوحيد في السفر، ولا يهدف السفر إلى مُساعدتنا لفهم مثل هذه الأحداث. ففي الواقع، لم يتلقّ أيوب أي جواب عن سبب كلّ هذه الآلام.

فُتِحت لقراء سفر أيوب نافذة إلهية على الأمر الذي أدّى إلى تجارب أيوب. لم يكن أيوب على دراية، بل ولم يصر قط على دراية، بما كان يدور خلف الستار، وهي الأمور التي لم يستطع هو ولا زوجته ولا أصدقاؤه أن يروها بأعينهم. ومن خلال المحادثة التي دارت بين اللّه والشيطان، الذي هو المُشتكي على الإخوة (رؤيا ١٢: ١٠)، نعلم أنه توجد ديناميكية روحية ذات معنى عميق، تُفسِّر لنا سبب مرور أيوب بالتجربة التي مرَّ بها. وفي ضوء ذلك، دعونا نتأمل معًا في بعضٍ من الدروس العديدة التي نتعلّمها من هذا السفر.

الحرب الروحية

في بداية السفر، نقرأ أن أيوب كان رجلاً فريدًا من نوعه. فقد كان «كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي ٱللهَ وَيَحِيدُ عَنِ ٱلشَّرِّ» (أيوب ١: ١). وكان أيوب يُعتبر «أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي ٱلْمَشْرِقِ» (أيوب ١: ٣). وكان لديه عشرة أولاد - سبعة بنين وثلاث بنات- وثروة هائلة تُقدَّر بما يقرب من سَبْعَةَ آلافٍ مِنَ ٱلْغَنَمِ، وَثَلاثَةَ آلافِ جَمَلٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ. كما كان لديه أيضًا عدد كبير من الخدم للاعتناء بممتلكاته والعمل في الأرض. بالإضافة إلى ذلك، كان أيوب يتعبَّد للّه بعشر مُحرقات، مُحرقة واحدة عن كل واحد من أولاده، للتكفير عنهم أمام اللّه في حال أخطأوا (أيوب ١: ٥).

كان اللّه مسرورًا بأيوب وأشاد به أمام الشيطان (أيوب ١: ٨). وفي هذه اللحظة، اتهم الشيطان أيوب بأن إيمانه غير حقيقي. وقال الشيطان إنه إذا خسر أيوب بركاته، لن يؤمن باللّه أو يتبعه بعد الآن، قائلاً إنه كان يتّقي اللّه فقط لأجل البركات التي باركه بها. افترض الشيطان أنه إذا أخذ اللّه هذه البركات، لن يثق أيوب باللّه بعد الآن، وسيتخلّى عن إيمانه باللّه. يا له من اتهام شرير!

ولا يزال الشيطان يشتكي على المؤمنين اليوم. فهو يتهمنا بأمور فعلناها بالفعل، ويسألنا كيف أمكننا أن نفعل ذلك. كما يتهمنا بارتكاب خطايا لم نفعلها. يا للشر! فحقًا «إِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ ٱلرُّؤَسَاءِ، مَعَ ٱلسَّلاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ ٱلْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا ٱلدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ ٱلشَّرِّ ٱلرُّوحِيَّةِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦: ١٢). لهذا السبب، علينا أن نلبس سلاح اللّه الكامل لكي نقدر أن نقاوم العدو في اليوم الشرير.

الدرس الذي نتعلّمه من هذه الملاحظة هو أنه عندما نمرُّ بتجارب، ثمة حرب روحية دائرة، لا تستطيع أعيننا أن تراها. يحاول الشيطان وملائكته الساقطون أن يخربوا حياتنا نحن المؤمنين، لئلا نكون بعد سفراء فعّالين عن المسيح. فإن الشيطان لا يستطيع أن يسلبنا خلاصنا، لكن إذا سُمح له، فإنه يستطيع أن يُضايقنا ويزعجنا كمؤمنين، وأن يجلب الكثير من الأحزان إلى حياتنا كي يثنينا عن أمانتنا للّه. دعونا نطلب من الرب أن يعيننا في تجاربنا، وأن يسيِّج حولنا ليحمينا من الشر الذي يُريد الشيطان أن يُلقيه علينا. نقرأ في ١يوحنا ٤: ٤ أن «ٱلَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ ٱلَّذِي فِي ٱلْعَالَمِ». ليتنا نلقي همنا على الرب، كما يحثُّنا ١بطرس ٥: ٧، عالمين أنه يعتني بنا. كذلك، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ» (يعقوب ٤: ٧)، الذي يجول كأسد زائر ملتمسًا من يبتلعه (١بطرس ٥: ٨).

امتحنوا الأرواح

في أيام أيوب، قبل أن تُعطَى كلمة اللّه كاملة، كان اللّه يتكلم في بعض الأحيان من خلال الأحلام والرؤى. وقد كان هذا الشكل من التواصل ضروريًّا، لأنه لم يكن كلُّ شيء قد أُعلِن من خلال الكلمة المكتوبة. أما الآن، فقد صارت لدينا كلمة اللّه المكتملة، التي من خلالها نعرف مشيئة اللّه ومقاصده. ومع ذلك، نستطيع أن نتعلم دروسًا ثمينة من أصدقاء أيوب.

على سبيل المثال، أليفاز، الصديق الذي تكلَّم أولاً في القصة، تلقَّى رؤيا (أيوب ٤: ١٢-٢١). وقد أوضح أن روحًا مرَّت به في الليل وسببت له خوفًا شديدًا. وكانت الرسالة التي حملتها هذه الروح هي أن اللّه يدين مخلوقاته، الملائكة والبشر على حد سواء. لذلك، فإن دينونات اللّه الصارمة تدل حتمًا على أن تجاربنا هي فقط نتاج خطايانا، التي يجب أن نعترف بها ونطلب الغفران عنها. تكلَّم أليفاز مع أيوب بسلطان تلك الزيارة الليلية من الروح. وكان الاستنتاج الذي توصل إليه أليفاز من هذه الرسالة هو أن أيوب ارتكب حتمًا خطأ ما حتى اجتاز في هذه المحنة الشديدة، وأنه كان بحاجة إلى أن يعترف بخطيته أمام اللّه.

وفي وقت لاحق، في أيوب ٣٣: ١٤-١٨، وصف أليهو، أصغر أصدقاء أيوب ورابعهم، كيف يتكلم اللّه من خلال الأحلام والرؤى. ورأى أليهو أن هذه الرسائل لا بد أن تكون صحيحة بسبب الطريقة التي أُرسِلت بها. ولذلك، استنتج أن اللّه هو حتمًا مصدر هذه الرسائل.

عندما نشعر بأننا نتلقى تعليمًا من اللّه، يجب أن ننتبه إلى التحذير القائل: «أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ، لا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ ٱمْتَحِنُوا ٱلأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ ٱللهِ؟ لأَنَّ

أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ» (١يوحنا ٤: ١). لذلك، علينا أن نقارن ما نسمعه أو نراه بما قد سبق اللّه فأعلنه بالفعل في كلمته. فإذا لم يكن هناك تطابق بينهما، تكون الرسالة الجديدة كاذبة، وينبغي ألا نحسب أنها من عند اللّه. فإننا نحتاج إلى التمييز، ولا سيما في هذه الأيام الأخيرة حيث توجد الكثير من الأصوات والكثير من التعاليم الكاذبة. ليتنا نكون تلاميذ دارسين ومفصلين لكلمة اللّه (٢تيموثاوس ٢: ١٥)، وليتنا نفحص ونفتش الكتب مثل أهل بيرية (أعمال الرسل ١٧: ١٠-١١) للتأكد مما هو من اللّه وما هو ليس منه.

الاتضاع

إن العائلة، والأصدقاء، وزملاء العمل، وغيرهم يمارسون جميعهم حياتهم اليومية دون أن يفكروا ولو قليلاً في مساعدتنا لنصير متضعين، ولنظل كذلك. وفي كثير من الأحيان، لا نكترث نحن أيضًا باتضاعنا الشخصي، وبأن نصير أكثر اتضاعًا. لكن، هناك من يهتم بهذه الصفة الضرورية التي يجب أن تتجلَّى في حياة المؤمن، وهو اللّه. فهو الذي يهتم بأن نكون متضعين، وبأن نصير أكثر اتضاعًا فيما ننمو ونتقدم إلى النضج الروحي.

تأمل في قصة أيوب كاملةً. فبينما قد نتساءل عن سبب حدوث هذا الألم، يوجد أمر واحد يمكن أن نكون على يقين منه، وهو أن اللّه كان لديه قصد من كلِّ ما اختبره أيوب. وفي بعض الأحيان، يكون له أكثر من قصد واحد. فقبل كل شيء، أراد اللّه أن يجعل أيوب متضعًا، وأن يساعده على بلوغ مستويات أعلى أيضًا من الاتضاع في شخصيته. وهذا أمر من شأنه أن يُرضي اللّه كثيرًا، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال مثل هذه التجارب الصعبة. وإن

اتضاعنا يخبر الآخرين عن الرب يسوع المبارك، الذي وضع نفسه كما لم يفعل أيُّ شخص آخر (انظر فيلبي ٢: ٥-١١).

هل تساءلت يومًا لماذا يتألم بعض المؤمنين الأتقياء بشدة، سواء كان ألمًا جسديًّا أو ماليًّا، أو بسبب الاضطهاد أو غير ذلك؟ يعتقد الناس في بعض الأحيان أن الشخص الذي يتألم لا بد أن يكون قد ارتكب خطأً أغضب الرب فتسبَّب في ألمه. نحن نعلم أن اللّه لديه أسباب عديدة لما يحدث لنا، وإذا كنا نعلم أننا ارتكبنا خطأً ما، يلزم أن نعترف به، ونصحح موقفنا مع الرب. لكن إذا لم نكن قد فعلنا شيئًا يغضب الرب عن قصد، يظل بإمكاننا أن نتيقن من أن الرب يريدنا أن ننمو في الاتضاع.

عرف الرسول بولس ذلك من خلال الخبرة الشخصية. فقد روى عن دخوله إلى الفردوس وسماعه أمورًا لا يُنطق بها. وبعد هذا الاختبار، أُعطِي بولس «شَوْكَةً فِي ٱلْجَسَدِ» (انظر ٢كورنثوس ١٢: ٧) حتى يظل متضعًا، حيث قال: «... لِئَلا أَرْتَفِعَ». كم هذا مثير للاهتمام! فقد فهم بولس أن قصد اللّه من ألمه هو أن يبقيه متضعًا. فحتى بعدما صلى بولس ثلاث مرات لكي يزيل اللّه الشوكة، تقبَّل جواب الرب القائل: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي ٱلضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩).

أعلن أيوب هذه الحقيقة نفسها بكلمات مختلفة قليلاً، قائلاً: «لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَٱلذَّهَبِ» (أيوب ٢٣: ١٠). فقد يستخدم اللّه التجارب الشديدة لتقديسنا. يُنقَّى الذهب بالنار، وبعدما يذوب، تُزال الشوائب منه، فيصير الذهب أنقى. فهم أيوب في النهاية أن الاختبار الذي مرَّ به كان بهدف إزالة شوائب الكبرياء، وإظهار المزيد من صفات اللّه فيه بدلًا من صفاته هو،

فقال: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ» (أيوب ٤٢: ٢). اكتسب أيوب أفكارًا جديدة عن اللّه وعن طرقه معنا. فقد وقف وجهًا لوجه أمام وليِّه، وأقرَّ بعظمة اللّه وبحقارته (أيوب ٤٢: ٥-٦).

تجاربنا تؤثر في الآخرين

عندما يقع حدث أو تجربة في حياة المؤمن، ربما تكون لدى اللّه دروس يريد أن يلقنها ليس للشخص وحده، بل للآخرين أيضًا. فقد يتأثر كل من الأزواج، والآباء، والأبناء، والإخوة، والأصدقاء، وزملاء العمل، وزملاء الدراسة وغيرهم أيضًا بما نمر به نحن.

في حالة أيوب، بعدما فقد أولاده، وأهل بيته، وممتلكاته، خسر صحته أيضًا. سمح الرب بذلك، لكن الشيطان كان هو من تسبَّب في هذه الضيقة. وقد مرَّت زوجة أيوب بالمحنة نفسها معه، باستثناء أنها لم تفقد صحتها.

للوهلة الأولى، قد نتصور أنها كانت امرأة شريرة، لأن كلماتها لزوجها كانت: «أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ [العن] ٱللهَ وَمُتْ!» (أيوب ٢: ٩). كيف أمكنها تبرير هذا الاقتراح؟ فقد كانت هذه حماقة. لكن إذا رجعنا خطوة إلى الوراء، يمكننا أن نلاحظ ما كانت زوجة أيوب أيضًا تمر به. ففي النهاية، هي أيضًا فقدت جميع أولادها العشرة، وأهل بيتها وممتلكاتها. ثم كان عليها أن تشهد كل المعاناة الجسدية التي قاساها زوجها العزيز والتقي. لو كنا في هذا الوضع نفسه، فربما ننحدر إلى حالة روحية متدنية، وننطق بالكلمات نفسها التي نطقت بها هذه المرأة. فمن المؤكَّد أنها كانت تحب زوجها، وتكره أن تراه يعاني إلى هذا الحد. ومع ذلك، كانت بحاجة إلى أن تتعلم كيف تتكل على اللّه أكثر، وقد ساعدها أيوب بالفعل على ذلك من خلال صبره ومثاله.

قوَّم أيوب زوجته بقوله لها - وليس للآخرين - أنها تكلَّمت كإحدى الجاهلات. وهذا يدل على أنها نادرًا ما كانت تتكلم بهذه الطريقة. بدا أن أيوب يتفهم الحالة التي كانت زوجته تمر بها من صدمة وحزن، وأنه أبدى تعاطفًا معها. ونقرأ أن أيوب لم يشته من قبل أي امرأة أخرى (أيوب ٣١: ١)، لأنه كان يكرم زوجته ويحترمها. وفي نهاية القصة، لا يصير لدينا سبب يمنعنا من الاعتقاد بأن هذه الزوجة نفسها هي التي أنجبت لأيوب عشرة أولاد آخرين، الأمر الذي يُعَد شهادة عن رحمة اللّه ونعمته. فقد عانت هذه المرأة مع أيوب، وعوض اللّه الخسارة بالكامل لكليهما! فإن اللّه هو الذي يبارك، وهو يحب أن يُفرح قلوب خاصته.

تأثرت مجموعة أخرى بمحنة أيوب، وهم أصدقاؤه. فقد جاءوا ليعزُّوه. وفي البداية، أحسنوا التصرف، حيث إنهم لم ينبسوا ببنت شفة لمدة سبعة أيام، بل اكتفوا بالجلوس بجانبه في تعاطف. لكن للأسف، بعد الأيام السبعة، بدأوا يتكلَّمون. وفي أيوب ٣، نسمع صوت أيوب أولاً، وهو يسب يوم ميلاده (أيوب ٣: ٣، ١٦). وكان كل ما قاله أيوب هو «ويل لي!»

كان أول صديق يتكلم هو أليفاز، وقد حثّ أيوب على أن يتضع ويتوب عن خطيته. وكان الصديق الثاني هو بلدد، الذي اتهم أيوب بأنه يقاوم اللّه. وأخيرًا، حثّ صوفر، الصديق الثالث، أيوب على إصلاح موقفه مع اللّه. لكن، أخبرهم أيوب بأنهم جميعًا مخطئون بشأنه، وبأنهم «مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ» (أيوب ١٦: ٢). واستمرت هذه الدائرة من النصائح من أصدقاء أيوب، يتبعها إنكار وتبرير من أيوب مرتين أخريين.

وأخيرًا، تكلم الصاحب الرابع والأصغر، أليهو، الذي انتظر حتى النهاية. وقد كرَّر أليهو بشكل أساسي ما قاله الأصدقاء الآخرون، وكان غاضبًا. أشير إلى غضب أليهو أربع مرات في سفر أيوب (أيوب ٣٢: ٢-٥)، بينما أشير إلى غضب اللّه مرة واحدة فقط في السفر (أيوب ٤٢: ٧). ورغم الأخطاء التي قد نراها في كلام أليهو، كانت تعليقاته مختلفة عن تعليقات الأصدقاء الثلاثة الآخرين، لأن أليهو تكلَّم بالصواب عن اللّه.

في أيوب ٣٨، بدأ الرب يتكلم بشكل مباشر إلى أيوب. ولاحقًا، تناول اللّه مسألة أصدقاء أيوب الثلاثة الذين لم يقولوا فيه الصواب، وطلب منهم أن يتوبوا من خلال شفاعة أيوب. وكان من شأن هذا أن يعلّمهم أن يكونوا متضعين، وألا يعتبروا أنفسهم أفضل من صديقهم. ثم أمرهم اللّه بأن يأتوا بذبائح ويطلبوا من أيوب أن يُصعِدها نيابة عنهم (انظر أيوب ٤٢: ٧-٩). كم حط هذا من كبريائهم! نرى في ذلك أن اللّه استخدم تجربة أيوب وآلامه لتلقين آخرين دروسًا عن رحمة اللّه ونعمته، وأيضًا لمساعدة آخرين ليصبحوا أكثر اتضاعًا، مثل عبده أيوب.

التجارب تجلب البركات

سيكون من الخطأ ألا نذكر أن قصد اللّه لأيوب كان أن يباركه هو والآخرين في النهاية. فقد انتهى الحال بأيوب وزوجته وهما يمتلكان أكثر ممَّا كان لهما عندما بدأت المحنة. فقد أصبح لديهما عشرة أولاد آخرين - سبعة بنين وثلاث بنات - أي العدد نفسه من الأولاد الذي كان لهما في البداية. ووُصِفت بناته بأنهن كن الأجمل في كل الأرض. بالإضافة إلى ذلك، ذُكِرت أسماء هؤلاء البنات، التي كانت لها معانٍ خاصة.

- «يَمِيمَةَ» الذي معناه "جميلة"
- «قَصِيعَةَ» الذي معناه "عطر"
- «قَرْنَ هَفُّوكَ» الذي معناه "قرن الألوان" أو "الشعاع الملوَّن".

فحتى أسماؤهن كانت جميلة! كذلك، أعطى أيوب كل ابنة من بناته ميراثًا بين إخوتهن.

بارك الرب أيضًا أيوب وزوجته بضعف الممتلكات التي كانت لهما في البداية. فقد صار لديه أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ ٱلْغَنَمِ، وَسِتَّةُ آلافٍ مِنَ ٱلإِبِلِ، وَأَلْفُ فَدَّانٍ مِنَ ٱلْبَقَرِ، وَأَلْفُ أَتَانٍ. كم أن طرق الرب رؤوفة ورحيمة وعجيبة! وبالنظر إلى هذه القصة، يجب أن تشجعنا على الاتكال على الرب مهما حدث، عالمين أنه يريد أن يباركنا من خلال كل ذلك. فهذه دائمًا هي رغبة اللّه.

نقرأ في رومية ٨: ٢٨ الكلمات التالية: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ ٱلأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ ٱللهَ، ٱلَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ». فإن قصد اللّه من البركات والتجارب هو أن يجعل كلَّ واحد منا أشبه بابنه. أي إن الغرض الأسمى هو أن نصير مُشَابِهِينَ صورة ابنه (رومية ٨: ٢٩). وعد اللّه بهذه البركة لكل من يؤمن به. بالإضافة إلى ذلك، بحسب عبرانيين ١٢: ١١، فإن تأديب الرب – أي التجارب والامتحانات - يُنتِج "ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلَامِ" في حياة المؤمن.

هناك العديد من الدروس الأخرى التي يمكن تعلُّمها من سفر أيوب، والتي لم نتناولها بعد. لكن، ليت الرب يُبارك هذه الدروس القليلة التي تناولناها.

إن كـــان الألم نصـــيبًا محققـــاً لكـــل البشـــر نتيجـــة الســـقوط في الخطيـــة، فـــإن نعمـــة اللّه أعـــدت مـــالا يحصـــي مـــن الرســـائل لتحويـــل ذات الألم عينـــة وســـيلة بركـــة في حياة الملايين عبر آلاف السنين..

فكـــم مـــن الملايـــين الـــذين دفعـــتهم آلامهـــم إلى التوبـــة عـــن الخطيـــة، والصـــراخ إلى اللّه مـــن أجـــل نـــوال الخـــلاص الأبـــدي، فكانـــت ضـــيقاتهم الوقتيـــة ســـببًا في نـــوالهم لحياتهم الأبدية وبركاتهم السماوية!

إن مـــالا يحصـــي مـــن رجـــال ونســـاء الكتـــاب المقـــدس المعـــروفين هـــم في الواقـــع مـــن خريجـــي "مدرســـة الألم" الـــتي يعـــرف اللّه الحكـــيم كيـــف يُخـــرج منهـــا خـــيرات وبركـــات روحيـــة وأبديـــة لكـــل أولاده دون اســـتثناء ولعـــل مـــن أبـــرز هـــؤلاء يوســـف، ومردخـــاي، والفتيـــة الثلاثـــة، ودانيـــال... وفي العهـــد الجديـــد بـــولس، وبطـــرس، ويعقـــوب، ويوحنـــا... وغيرهم أعداد لا تحصى عبر القرون.

عزيـــزي: أنـــت تتـــألم؟ حســـنًا فـــلا تتـــألم مجانًـــا ودون مقابـــل، ولـــتكن آلامـــك المحتومـــة فرصـــة لتوبتـــك القلبيـــة وإيمانـــك الحقيقـــي بالمســـيح وارتباطـــك الوثيـــق بـــه فتـــربح مـــا لا يعـــوض، وتـــنسَ آلام الزمـــان الوقتيـــة الـــتي تخـــف ونهـــا كثـــيرًا في مقابلـــة مـــع المجـــد الأبدي العتيد.

العظة الثانية

(ارميا: ص٣- ٦)

لا ندري كيف قوبلت عظة إرميا الأولى، كان مستحيلاً أن تستمع أورشليم إلى تلك الاحتجاجات القوية من فم هذا النبي الشاب، الذي احتج بكل شدة ضد سياسة قادتها، وتصرفات كهنتها دون أن تدرك بأنه نزل إلى ساحة الجهاد بطل جديد، وقوة جديدة. ومنذ تلك اللحظة أحس الجميع احساساً شديدًا بتأثير قدوته الطاهرة، وكلماته النارية، طول مدة جهاده التي دامت أربعة وأربعين عامًا. لقد أشرقت شعاعة رجاء أخرى على تلك البلاد الرجسة المتمردة التي كان جوها محملاً بعلامات تدل على قرب اخلالها وخرابها كان هنالك صوت آخر معد ليذيع اللّه تهديداته وانذاراته بواسطته.

في عظته الثانية المدونة في الإصحاحات (٣- ٦) والتي قد احتفظ بها كعينة من كلماته في ذلك العصر، نجد قوة مضاعفة ورقة متناهية. ورغم أن الكلمات كانت نارية والسيف حاد فإن النغمة عذبة ورقيقة. هنا نجد في إرميا -أكثر من غيره - تشابهًا كبيرًا لروح المسيح، إذ نجده يرثي لعمى الشعب وعناده كلما اقربت من نفسه رؤية الخراب العاجل الذي سوف يحل بهم نتيجة تمردهم على محبة اللّه. كان إرميا كحمل وديع يساق الى الذبح كما يتحدث هو عن نفسه (ص١١- ١٩) ولكنه كان في نفس الوقت شديد اليأس كالأسد من جهة القوة التي استخدمها محاولاً بها أن يرد عن بلاده العزيزة ذلك الخراب الذي كان يتجمع في الأفق لينشب أظفاره فيها ويلتهمها. لو أنه أتيح لنفس طاهرة مخلصة أن تنقذ يهوذا بتوسلاتها ودموعها وإنذاراتها لفعل ذلك إرميا.

ولكن كيف السبيل إلى هذا وقد استفحل الأمر، وأصبح الداء عضالاً والسرطان مستعصيًا، والشر الذي غرسه منسى دنس البلاد لأقصى حد، وعلى أي حال فإن هذا لم يتبين تمامًا في أوائل خدمة إرميا، لهذا نراه، بآمال الشباب يظن بأنه يستطيع رد المصيبة عن البلاد، ويقينًا لقد كان تحذير السفينة من الصخور الجاثمة في طريقها، وحسن قيادتها. كافيان لتسييرها في المياه الهادئة الأمينة رغم كل ذلك.

تتميز هذه العظة برؤيته التي رآها مقدمًا عن غزو الكدانيين للبلاد، وبتعبيراته التي تفيض شفقة وألمًا وحزنًا، وبتأكيداته لرحمة اللّه المخلصة.

الرؤيا التي رآها النبي مقدمًا عن اقتراب الخراب:

في بداية خدمة إرميا كانت البلاد تنعم بفترة راحة وهدوء قصيرة كما رأينا، وكانت هذه الفترة راحة وهدوء قصيرة كما رأينا، وكانت هذه الفترة بمثابة وميض من النور على سفح جبل في يوم معبس وملبد بالغيوم. وقد استقبلتها البلاد بالترحيب والسرور، خلافًا للعصور الأليمة السالفة، وكان يبدو أنه من المرجح أن تدوم هذه الحالة، إذ كانت امبراطورية أشور العظيمة قد ضعفت بسبب الانقسامات الداخلية، وكات بابل قد بدأت تصبح خصمًا قويًا لنينوى، وكان الفرس قد بدأوا ينزحون إلى منحدرات جبال طوروس الغربية تحت قيادة ملكهم. أما في مصر فقد كان أبيماليك مشغولاً جدًا في طرد الجنود الأشوريين وتعزيز مملكته، وتأسيس أسرته ليتفرغ الإتصال بجارته الصغيرة.

وهكذا استطاع يوشيا أن يتابع إصلاحاته العظيمة في جو من الهدوء والسلام. إذ لم يكن هنالك اثر لشبح الحرب في الأفق، في أحد أيام يوشيا الهادئة هذه (ص٣: ٦) أزعج النبي الجديد رجال أورشليم ويهوذا بما أعلنه من القصاص المروع الذي رآه من مرصده.

لقد سمع صوت البوق يدعو الفلاحين من الريف المكشوف للدخول الى المدن المسورة، تاركين محاصيلهم تحت رحمة الغزاة، لينجوا بأنفسهم، ولقد رأى الأسد عن بعد يتسلل من عرينه في الغابة ليهلك الأمم، وسمع صراخ الحراس من مرتفعات دان في الشمال إلى أفرايم، ثم إلى أورشليم، حين أعلنوا وصول

الغزاة، ورأى خراب الأرض، وتقهقر المدافعين عن المدينة المقدسة بكل سرعة، والتجاء البعض إلى الغابات، والآخرين إلى شقوق الصخور. نعم ورأى ابنة صهيون تلهث من شدة الألم صارخة " ويل لي" (ص٤: ٣١).

لقد كان متأكدًا جدًا من الرؤيا جميعها التي أعلنت اليه، حتى أننا نجده يلتفت الى إخوته البنيامينيين الذين فروا هاربين للالتجاء الى العاصمة، آمرًا إياهم أن يهربوا الى ما هو أبعد من ذلك جنوبًا، رأى الاستعدادات للحصار، وما يتبعه من ويلات. وصف الغزاة كأمة قوية قديمة يعللون بقية إسرائيل كجفنة كما يجمع الحاصدون بقية العنب في السلال، ويتحدث عنهم بأنهم قساة بلا رحمة، كذئاب المساء، جعبتهم قبر، وسيفهم رعب وذعر، وصراخهم يصم الآذان، ومركباتهم لا ميثيل لها، وفرسانهم لا يقهرون، ومجرد التحدث عن أعمالهم يكفي ان يبعث في نفس السامع آلامًا مبرحة (١: ١٥؛ ٤: ٦،٧، ١٦، ١٩؛ ٦: ٩، ١٩، ٢١). ولقد كانت كلمات النبي الشاب كالنار للحطب (ص ٥: ١٤).

يظن البعض ان هذه الكلمات تشير إلى غزو السليثيين الذين -في ذلك الوقت- أغاروا بجيوشهم التي لا عدد لها على غرب آسيا، ولم يفلت من يدهم سوى مدينتا نينوى وبابل، نظرًا لقوتهما وشدة بأسهما، أما سائر البلاد فقد اكتُسحت اكتساحًا تامًا. وكل الذين لم يتمكنوا من النجاة قُتِلوا بكل وحشية أو حُملوا إلى السبي، وتحولت المدن والقرى إلى اطلال دراسة وإلى اكوام من الرماد.

على أن هذه الجيوش الزاحفة الوحشية لا تتم كل المعنى المقصود من كلمات إرميا. إذ يظهر أنها لم تدخل فلسطين، بل اجتازت حدودها الشرقية أو الغربية، بالقرب من منطقة نفوذ يوشيا، ودفعت الشعب المرتعد للإختباء في المدن الكبرى حيث اقتفوا أثر الغزاة.

فالأرجح إذن أن هذه الكلمات الأسيفة تشير إلى غزو بابل ليهوذا، الذي كان مزمعًا أن يحل بعد ثلاثين عامًا، والذي حذر منه الشعب، لعلهم يبتعدوا عن نجاساتهم ويرجعوا إلى ينبوع المياه الحية.

تعبيراته الأسيفة التي تفيض شفقة وألمًا وحزنًا :

كان قلب إرميا الرقيق مليئًا بالحزن الشديد بسبب الأخبار المحزنة جدًا التي دُعي لإذاعتها، وفي كل السفر نجد التعبيرات التي تُنبئ بهذا الحزن الشديد، فقد كان يعز عليه أن يتأمل في الخراب العاجل الذي سوف يحل بالمدينة المقدسة، لأنه أحب وطنه حباً خالصًا كانت أعز أماني شعبه ممثلة في تلك الصرخات التي يجدر بنا التأمل فيها قليلاً.

استمع إليه وهو يقول «وَقَدْ بَلَغَ السَّيْفُ النَّفْسَ» (ص ٤: ١٠) «أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي. لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ» (ص٤: ١٩). وبدا له كأن شقق خيامه (وهو يعني بلاده) «قَدْ خَرِبَتْ كُلُّ الأَرْضِ. بَغْتَةً خَرِبَتْ خِيَامِي، وَشُقَقِي فِي لَحْظَةٍ» (٤: ٢٠). ولقد حاول بكل جهده أن لا ينطق برسالة القصاص المريع حتى لم يطق صبرًا ولم يستطع الانتظار (ص ٦: ١١) وتحدث إلى إورشليم كابنة شعبه، وأمرها بأن تتمنطق بمسح،

وتتمرغ في الرماد، وتنوح كما تنوح الأم على وحيدها (ص ٦: ٢٦). وتساءل كيف يعزي نفسه وسط الحزن الشديد لأن قلبه فيه سقيم (ص ٨: ١٨). وتمنى لو «رَأْسِي مَاءٌ، وَعَيْنَيَّ يَنْبُوعُ دُمُوعٍ، فَأَبْكِيَ نَهَارًا وَلَيْلاً قَتْلَى بِنْتِ شَعْبِي» (ص ٩: ١). وتحول وحيدًا وسط الجبال باكيًا ومنتحبًا لأن المراعي جفت، فصار صوت الماشية لا يُسمع، وبطل تغريد العصافير (ص ٩: ١٠). من أجل كل هذا نراه يصرخ «وَيْلٌ لِي مِنْ أَجْلِ سَحْقِي! ضَرْبَتِي عَدِيمَةُ الشِّفَاءِ»(ص ١٠: ١٩).

لم يكن هنالك مفر من النطق بالقصاص المروع الذي كان مزمعًا أن يحل بهم، لكن كانت هنالك رنة حزن في الصوت الذي تنبأ بذلك القصاص، كان أبعد إلى نفسه أن يشتهي يوم البلية، وكان يتمنى أن يضحي بحياته بكل سرور لو استطاع بذلك أن يرد عن البلاد هذا اليوم، كان كأس حياته يفيض بتلك الروح التي دفعت السيد فيما بعد للبكاء حينما رأى المدينة العاصية المقضي عليها بالخراب.

لقد أدرك هذا النوح تمام الإدراك الكثيرون ممن كرزوا برسالة التوبة في كل عصور الكنيسة، فانهم رغم اضطرارهم لإنذار الخطاة بالغضب الآتي تجدها قد امتلأت قلوبهم عطفًا واشفاقًا عليهم وحنينًا لخلاصهم.

إننا نحتاج الى المزيد من هذه الروح، فانه لا يوجد شيء مرعب كالنطق بتهديدات اللّه ضد الخطية دون إظهار أية علامة الألم والأسف، رغم أن هذه الويلات التي يحدد بها الخطاة ليست إلا من صنع الخطية وطبيعتها ونتيجتها الحتمية. لذا دعينا للتحدث عن الغضب الآتي فينبغي أن لا نلجأ إلى هذا إلا

بعد قضاء ساعات طويلة في صلوات انفرادية وفي بكاء وانين طويل، ونحن لا نستطيع أن نحذرهم إلا بنسبة شعورنا من نحوهم واشفاقنا بالويلات التي صبها على هامة الفريسيين والصدوقيين إلا بقدر إدراكنا للعطف والشفقة والرحمة التي تملأ قلب المخلص.

إن غلطتنا هي في الإتصال بالبشر كجماعة لا كأفراد، أو في استخدام تعبيرات مألوفة فقدت قوتها وروعتها لأنها أصبحت عادية، إننا لم ندرك تمام الإدراك قيمة خسارة نفس واحدة، أو قيمة الويلات التي تنصب على هامة شخص واحد ارتد عن الإيمان، أو معنى الدود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ. ولعل أفضل طريقة لإدراك معاني هذه الحقائق الأليمة هي أن نتساءل ماذا يكن الحال لو أن إحداها قد صارت من نصيب أقرب الناس إلينا؟ وبعدئذ ننتقل من الفرد إلى المجموع، ومن خسارة النفس الواحدة نستطيع أن ندرك معنى خسارة العالم.

لنتطلع إلى هذه الحقائق من وجهة نظر المخلص، أو من وجهة نظر المحبة الأبوية، أو من وجهة نظر النفس ذاتها، وعندما ندرك تمام الإدراك مقدار الأهانة التي توجه الى اللّه، ومقدار الخسائر الجسيمة التي يخسرها المسيح، ومقدار الآلام والويلات التي تنتاب خاطئًا واحدًا، فعندئذ نستطيع أن نتحدث إلى البشر عن الغضب الآتي بدموع غزيرة بصوت مرتعش وقلب كسير.

إن كرازة كهذه تفلح على الدوام في اقناع الخطاة للرجوع عن ضلال طريقهم، إذ يجدون فيها حجة لن تُقاوم، لا يوجد شيء أشد رعبًا من التحدث عن أسرار

الحياة والموت، عن السماء وجهنم، عن الذين سوف يقفون عن يمين العرش والذين عن يساره، دون ان يكون القلب مليئًا بتلك الشفقة التي لن تحصل عليها إلا بالشركة الكاملة مع مخلص العالم.

تعليمه بكل قوة عن النعمة المخلصة:

قليلون من كتبة الكتاب المقدس هم الذين أدركوا محبة اللّه أعمق مما أدركه إرميا، وعلى العصاة والخطاة أن يلجأوا دوامًا إلى الإصحاحات الأولى من سفره ، ليجدوا التعزية والتأكيد بالغفران الواسع المدى، ويكاد يكون هذا التعبير "العصاة " وقفًا على هذا النبي.

١) كانت عقيدة إرميا أن الخطية لن تطفئ محبة الله:

قد تتوسط الخطية بين الرجل وزوجته، فتحطم العلاقات الزوجية وتدفع الزوج ليطلق زوجته التي كان يعتبرها نصفه الثاني. ولكن مهما كانت خطيتنا شنيعة ومهما تكررت وتعددت، ومهما خُنّا إلهنا أشد من خيانة الزوجة لزوجها، أو خيانة الزوج لزوجته، فإنها لن تحكم تلك المحبة التي هي من الأزل وإلى الأبد، قد تكون السحب قاتمة جدًا، ولكنها لن تطفئ الشمس، قد تحجب الخطية إعلان محبة اللّه، ولكنها لن تجعل اللّه يترك محبته لنا (ارميا٣: ١).

٢) ومحبة الله تتبين في الرحمة الغافرة:

إن كل ما يطلبه هو أن يدرك الانسان إثمه، ويعرف بأنه قد عوج طريقة، ونسى إلهه. كان كافيًا أن يقبل الخطاة الألفاظ التي اقترحها إرميا للإعتراف «هَا قَدْ

أَتَيْنَا إِلَيْكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلهُنَا» (ص٣: ٢٢). وهو يؤكد بأنه مهما كانت خطاياهم شنيعة فإنها لن تذكر فيما بعد (ص٤: ١؛ ٥: ٢٠)...

٣) ومحبة الله لا تعاملنا حسب خطايانا:

اللّه يمطر علينا خيرات جزيلة حالما نتوب، «وَلاَ يَحْقِدُ إِلَى الدَّهْرِ»(مز١٠٣: ٩). إنه يتوسط بيننا وبين متاعبنا، كما تتوسط الرمال الناعمة بين بيوت البشر ومياه المحيط المزبدة، هو ينتظر حتى يقبلنا إليه ثانية «إِنْ رَجَعْتَ يَا إِسْرَائِيلُ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنْ رَجَعْتَ إِلَيَّ .....فَلاَ تَتِيهُ» (ص٤: ١) يمكن أن تكون لنا الأرض الشهية، وميراث المجد (٣: ١٩). وراحة لنفوسنا، هذه كلها سبق أن خسرناها، لكنها كلها تُرد الينا عندما نتوب.

يالها من رؤيا بهية حقيقية تلك التي أُعطيت للنبي الشاب عن محبة اللّه ونظرًا لأوجه الشبه الكبيرة بين تعبيراته وتعبيرات سفر التثنية فإننا نرجح أن هذا السفر كان محبوبًا جدًا لديه، كما نتجاسر على القول بأنه كان السفر المحبوب للمخلص إن جاز لنا هذا القول. ولعله قد استقى أفكاره من هذا السفر القديم الذي كان قد اكتُشف حديثًا وقتذاك. وعلى أي حال فإن روحه الحية قد ارتوت من محبة اللّه الأبدية، الغافرة، المشفقة التي أُعلنت للبشر في يسوع المسيح ربنا.

إية أيتها المحبة المباركة، التي بها تستطيع القلوب العاصية المتمردة أن تُقبل ثانية ضمن الدائرة الداخلية وتعوض السنين التي أكلها الجراد.

منشغلٌ بجماله

كتب كريستيان برنشتاين يقول:

ليتك تثبِّت أعيننا ... بالكامل عليك يا رب،

حتى إذا انشغلنا بجمالك ... لا ننظر إلى سواك.

لكن في هذا العالم، تصرف الكثير من الأمور أنظارنا عن الرب يسوع. ومثل هذه الأمور تسبِّب لنا خيبة الأمل والإحباط. لكن حين ننظر إلى الرب باستمرار يتقوَّى إيماننا ورجاؤنا (١تسالونيكي ٥: ٨؛ ١بطرس ١: ٢١)، ونتلذَّذ بمحبة اللّه التي «ٱنْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ ٱلْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٥)

نحن ممتنُّون لأجل طول أناة الرب في عمله معنا، حتى عندما يستخدم الظروف والأشخاص لتوجيه قلوبنا إليه، حتى ننظر إليه. فعلى سبيل المثال، نقرأ في سفر أيوب كيف سمح الرب لأفعال الشيطان بأن تتمِّم مقاصده - أي مقاصد الرب - في حياة أيوب، وزوجته، وعائلته،

وأصدقائه، وكل ذلك لمجد الرب. وفي النهاية، حلَّت بركة عظيمة. ونرى ذلك في حياة آخرين أيضًا، من خلال الدروس التي يقدِّمها لنا الكتاب المقدس (رومية ١٥: ٤) حتى ننشغل به أكثر فأكثر.

لكل شخص أهمية عند الرب. فحتى من قبل أن نولد، كانت لدى الرب خطة لحياتنا. اقرأ ما قاله لإرميا: «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي ٱلْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ ٱلرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ» (إرميا ١: ٥). لذلك، لا تسمح لإبليس أو للذين يشاركون في ضلالاته بأن يدفعوك إلى الظن بأنك، أو أي شخص آخر، عديم الأهمية عند الرب. فإنه ليس فقط قد نسجنا وأعطانا حياتنا الجسدية (انظر مزمور١٣٩: ١٣-١٧)، لكنه أيضًا وضع نفسه لأجلنا على صليب الجلجثة (١يوحنا ٣: ١٦)، حيث سُفك دمه لأجلنا (يوحنا ١٩: ٣٤). فهو قد افتدانا، نحن الذين آمنَّا به (رؤيا ٥: ٩). التفت إليه إذن فتحيا!

إن جمال الرب عجيب. ونستطيع حقًا أن نردِّد مع آخرين الكلمات التالية:

اسمك نحب، أيها الرب يسوع ... ونسجد في خشوع أمامك

وطالما حيينا، لك نقدِّم ... كل البركة، والعبادة، والمجد

ونترنم بتسبيحك بأعلى صوتنا ... حيث تتحد قلوبنا بأصواتنا

فلك وحدك نحن مدينون بذلك ... يا من يفوق جماله الكل.

و. بيربيري

الألم.. يحوله بركة!

هل يمكن أن يتحول الألم نتيجة وجودنا في عالم شرير ساقط إلى بركة في حياتنا؟

نعم يقينًا....كيف؟ بأن تكون لنا دائمًا ثقة في الرب واستناد على نعمته.

فلولا الظلم في حياة يوسف ما ارتفع عظيمًا على كل مصر (والعالم بالتالي) في أيامه. ولولا الحرمان في حياة حنة. ما حصلت وما جاء صموئيل رجل اللّه المُصلي. ولولا السجن لبولس وسيلا ما خلص سجان فيلبي وأنتعش الخادمان بثمر حقيقي لتعبهما. ولولا النفي في جزيرة بطمس، ما كان ليوحنا أن يرى ويكتب أحداث سفر الرؤيا.

وفي القمة من كل ذلك: لولا آلام ربنا المعبود يسوع لما خلصنا أبديًا!!

عزيزي المتألم:

إن كان الألم واقعًا معاشاً في عالم مستقل عن اللّه، فتأكد أنه بالعلاقة الحقيقية والحية مع الرب يعرف هو – له (عن أن يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة... قادر أن يخرج من آلامك أروع البركات وأمجد الثمار.

- الألم نتيجة دخول الخطية إلى العالم، والله ليس مصدره.
- نعمة الله أعدت مالا يحصي من الوسائل لتحويل آلام البشر إلى بركات لا تقدر بثمن.
- كلمة الله تسمح بالألم، وسلطان الله يحوله خيرًا، وحكم الله يضع له حدًا.
- المسيح له المجد أبطل الخطية (بسبب الألم) بذبيحه نفسه على الصليب.
- عندما جاء المسيح إلى العالم تالم كما لم يتالم أحد من قبله ولا من بعده.. ولكن ما أروع النتائج!
- نتعلم نحن الصبر والقدرة على التحمل ونتمجد أدبيًا عندما نتالم.
- قريبًا سينتهي الآلام كلها بمجيء المسيح وأخذنا إليه وسنعرف سر آلامنا كلها بوضوح